

# حَدِيثَةُ الْمُقْتَصِفِ

رابندراناث تاجور

العدد الرابع

تاجور في الحياة والأخلاق  
والدنية والسياسة والمرأة والأدب والدين



عمود المنجوري



# تاجور في الحياة والاخلاق

والمدنية والسياسة والمرأة والادب والدين

— ٢ —

لمحمود المنجوري

يعتقد تاجور ان النزاع بين الروح والجسد ليس من اسائل الفلسفة النظرية التي لا تؤدي عملاً حاسماً في توجيه الحياة البشرية ، وهو مؤمن بان هذا النزاع قد يؤدي ال دمار العالم والسيار المدنية اذا ما تغلب الحيوان الذي في الانسان على مثل الروح الملباء ، عندئذ ينقلب العالم جميعاً رأساً لا إله فيه ولا روح ، وعندئذ يسود البطش وتقرم مدينة القيود وينمحي القلب والوجدان من هذا الانسان المأني الجبار اذ يعود بمدنيته ال نوع جديد من الرق ويصبح الفرد وفي أمس ثقافته الشفء بالاستعباد فيستعبد الغير — ويويل للعالم اذا سادته اله بشري !

لقد ارتاع تاجور عندما زار اوروبا عقب حرب سنة ١٩١٤ اذ وجدها ترقص فوق البركان ، تتنازعها للبادي الجديدة القنائة ، وعندما وجد اعصاب الشباب تلتوي في ايدي الرصماء وقادة التخريب والدم ، فبكى على مدينة هي خير مرات بشري ، وأشفق على ما فيها من علوم هي ذخر لا يقدر بشئ . وأخذ يحدث الامم والشعوب ويظوف بالقيادة والمحرك ليوجهوا المدنية الغربية وجهة الخير والانسانية وليزعوا بها زعة الروح والحق والجمال ، وطلب اليهم ان يقنلوا هذا الحيوان اثنائر في الانسان وان يتخذوا من وداعة الشرق وفلسفته قيم مدينة روية خالدة . ولكن فيلوف الشرق ترك اوروبا وقد أنذرهما بحرب طاحنة ستثرو ما دعا دامي الدمار في سبيل العيبة والجلس والدم . ثم ذهب الى اميركا لعله يجد في الاميركيين اذاً صاغية ، فأخذ يحدثهم ويحاضرهم ويستشير شعقهم ونظفهم الى المدنية وما فيها من جمال روحي . ويطلب اليهم ان يغلبوا الروح في مدنيتهم وان يحدوا من كبرياهم عند ما يذكرون انهم حرروا العبيد من أهل بلادهم الاصليين<sup>(١)</sup>

« حينما تكون أنفس عبيداً لسيواتها الذاتية تنهر براحة في جلازة العبيد : لان ارق الذي وانما يسكن سورة من عبوديتنا على عمدة فترج انيكما يرتج القاء الى الم الجوع لدى اعتاده . »

ثم يخاطب الاميركيين أنفسهم :

(١) الامرات الثانية من محاضرات تاجور في اميركا

« حين حررت أميركا عبده ، كانت في الواقع تحرر نفسها هي الأخرى تحريراً روحياً ومعادياً لها . ولأن  
وهبت حرية الأرواح لتقوم بتحرير عن الحياة ، ولأن تحقيق حرية الأرواح للعب وهو أعظم نوع من أنواع  
التحرير والأسلحة والحب . » فتكون قد حققت أهدافاً جديدة تتعدى كل ما كان مع واقعهم في حرية كاملة  
وسواء تم عبده عن فرض شخصيتهم عليه وعن الأثرة ، وخوف قيود القوانين ، أو ان شعور هذا هو  
الحب الابدي في أي أسمى معانيه . »

وهذه هي المعاني السامية التي أعطتها إنساناً تاجور للهنود يوم صام غاندي في سبيل  
تحرير المنبوذين من أهل الهند لإدراك اعتبارهم والاعتراف بشخصيتهم كأفراد لهم حقوق  
الإنسان كاملة (١١)

على ان الرق الذي رفعه الانسان عن كامل الانسانية قد استقر بكيانه في صميم الحياة  
الاجتماعية والاقتصادية ، لان انسانية الغربية تأباه باسمه ولكنها تقبضه بأثره ومعانيه ، ولا  
ترى فيه تناقضاً مع مبادئها التي نهضت عن الأثرة والاذانية وتنازع البقاء

« لقد سررت على العالم عن صف ظنيان شديدة من الكذب والتشهير وأثروا خلفت في جميع الانسانية  
جروحاً دائمة لا تبرا ، ومن الصف والسكر والنور الذي أخذ الاديان مغطيه اختلافاً لأذلال الناس ،  
ومن بعض المادة التي فصل لأذلال أرواح انبيا التي في الانسان . لقد سررت عن العالم هذه الآلام الطائفة  
وسررت في جناته أجيالاً ممتدة بالخطية والآلام . ولقد خرج الانسان من هذه الآسي جروحاً مبتورة  
وتدعوته أيدي الظلم والظلمين وتركته طليحاً عن العمل . فكلم من جوع من بني البشر قد شوهم  
الظلمين وتركهم في عجز وعوز ، هم يذوقون كالفترات على سطح هذه الدنيا فاجرس عن الصن يقاسون  
متاعب العيش ومثله الرق في أرض الحرية والشفقة والسلام ، وكمر زودت في حقول هذا العالم التسعة بدور  
المذات الفردية التي سعدت بدماء السيد وسقيت من عرق جباههم الذليلة ، وكما أقيمت في هذه الدنيا ترويت  
نضت عن بطون الجوع وأحكتاف الحماة الشدة المحرومة . ولكن أخذ الظلمين حماة من ينشر نكاه  
والمرور التي ذروة الندة والمادة ثم ركبها جامعة محرومة . لقد سررت هذه المذلات عن الانسانية وبالات متواليه  
— وان لا تقب الان انماكم ايها الاسداه الامريكويون وأسأتكم هل استطاعت هذه الروح الطغية ان تقيم  
له ملكاً اذت الاوكان ؟ ألا ترون ان هذه الروح قد ودت على أخطايب وهزمت كلها بدأت ترفع رأسها في  
انها لدليلي كبريائها ، وسنحقي رأس الأفي السانحة كمن سار العالم في صريق الوحدة الروحية وقصه  
الى سبيل أخيه الكريمة ، وسنحتر هذه الحقول الرئوية بدماء السعيا من البشر وسنردهر بيت جديد تلاء  
أدب سجة ويقدم قلب الانسانية محبة ووحدة وجمالاً . ألا لمة الله عليك ايها الروح لانه سريرة التي  
أخبرت وأدب عن صريق الجبر والسلام أحسبك من هو وقها من ان يصرح جيبك بانه الان تبه الخائف ؟  
« عيوا روح الله في انفسكم ايها السعديون . وأعلموا ان خيار الذي في الجسد كما هو فونذفة  
رواها المنوية ، وان الروح هي امر الهى لا تهب نظام الحياة ولا تحصى القيود ، ولا حدود القوة ولا  
بطش الشيطان — لانها لا تؤمن به ولا تحدد قوتها في المصالح المنقوشة والآلات التي لا يرد الجسد  
ولا في ضداد الحرب ، وانما قوتها كمنة في ذاتها وهي أصلها بعالم الكيان الالهي

« ان الروح التي فيك تعلم ان قيود اليوم ستزول وتنفى . وأما الله ، أخذ الخليل يمشي في أحشاه  
لخود النباي . ان الروح التي فينا عديمة الحول بجم يبدون . هي كالخيل في سحر الله اذا رسل دموعه  
مشيرة ، كانت عليه غريزة تسمى موضع الخلف وتسمى خدر من قلبه ، فتبوز اب صفة مضافة ، وان  
الام تظن التي تحدها ووحدة النظمة ( الشكل الخارج للام التي ) تتدفق عليه وتسرع ان تحدها وتثبت اليه  
المروء والنور وان اشتدت به الظلمة واسودت امام الليل . »

(١١) راجع المتنطف : العدد الثالث من ١٩٨١ ، السجوري

« ان تاريخ الدنيا هو تاريخ الزلازل والبراكين وثورة الفيتانات والحروب ، ويمكن عن الزعم من ذلك نهر تاريخ الحقل المتناثر والماء الجاري ونظير للمسم - سينتشر العالم من طور البراكين والزلازل في طور الحفرون وأجبال الدائم ، ويستغنى العالم الرديح صور الطفولة الملهمة بالخطى النائرة - وينسج قريبا شاباً مسترخياً بجباله فخوراً بقرته وحرته »

« ان الامم دليل الحياة ومبحث التطور الى الحرية ، انه لا كبر اهل للاسانية ان يكون الامم ضعفاً يفتأ في حياتها ، الامم مولعة عدم الكمال ، ولكنه الامم في الكمال ان لها ان لتحلل معي الثقاب الكمال ، كعراخ العطل ليس له معنى اذا لم يكن طفل ايمان بآمه - فاعانتا بالكمال هو الذي يوقظ شعوره بالامم - وهو الذي يبعث كرمه تجرد بنفسه لتحتقن انثى العيا في الحياة - ولن فصل انى للثقل عليها الا اذا بدلتنا ارواحنا في سبيل الحرية فلا تتعارض مع وهي التضحية ولا تخضع لطغيان ، بل تدع ذاتها طيبة في الحق الانساني الذي خلق العالم ودوره - يجب ان نؤمن بان شخصيتنا الفردية شخصية ناقصة وان كلفه لا يكون الا بالاندماج في شخصية الجماعة - يجب ان تفتي الانانية في انفراد عندما يعكف في خدمة الانسانية وهذا هو بداية العمل لتوحدة الزوجية التي يجب ان تكون يوم المدينة الناضجة للانسان »

« لقد ولد اناس وفق طبيعتهم الشهوة والانانية ، ولكن قد نبت على الزعم من ذلك انها يجب ان يكون حياة مثقلة بالروح ، وانهم يستطيعون ان يحرروا انفسهم عندما يشررون من قيود الشهوة ومن مبادئ الذهب الوطنية والجنسية ومن الافكار النائرة المحرقة للاعصاب ، وعندما يصيرون واحداً في الله ، من طريق الحياة والتفكير والندية الحرة وعبارة انتم والطغيان - هذا هو المخلد الحق للانسان ، فلكم ثلاث ايام كل حزب وكانت عظيمة كالطرد ، وفيت شرائع كالدين وكانت قوية سبوية - ولبيت اتم ادواراً على مسرح الحياة ثم غابت انى غير رجمة - لقد ثلاث هذه جديماً لانها عاشت انانية لنفسها تعبد « انا » ونسركم الوحدانية الروحية مستعينة بالقرعة ولادة وحدها كاسس صالحاً للقاء »

لقد سمع الاميركيون هذا النداء فعملوا ان تاجور يندفعهم فيه بان المدينة الحديثة نهضت على انكار الروح فالتحذت لنفسها تكأة من الآلية والمادة والانانية ، وانها ستكون كالنار او كالبركان نائرة لا تبقى ولا تدبر . انها ستعلن ججودها بالله طاغية متكبرة عنيدة

لقد سمع الاميركيون هذا نداه من الشرق الكريم ، تردده نغمت فيلسوفه العظيم منذ عشرين سنة ، ولكن الاميركيين لم يستجيبوا الى هذا النداء الا عندما ثارت المدينة الطاغية بحرب عالمية فوقف الرئيس روزفلت في الكونغرس في ٦ يناير سنة ١٩٤٢ - يعلن رسالتيه « ان العالم بأسره اضيق من ان يبي ، في فيه مكاناً بيع طاغية ما ، شريكاً لله فيه »

وهكذا اواد الرئيس روزفلت ان يجعل الاميركيين يثمنون بدعوة تاجور ، بل انه يمان هذه الدعوة اليوم باسم الشعب الاميركي الذي خرج من العزلة التي كانت اساساً في نهجهم وسياسته وأوسع اليوم يشعر بان عزلة امة كاملة عن العالم في جميع مظاهره من حرب او سلام انما هي ضرب من ضروب الوم والفتل

وما كان تاجور يريد بالاميركيين يوم حاضرم الا ان يبعث فيهم اليقظة التي خضتهم التقليدي الذي كروه بعزلتهم عن مشاركة العالم ، وهم كان يود ان يخرج قلب الاميركيين بقلب العالم من طريق الروح والحب والرحمة والسلام ، لقد قال لهم ان المدينة التي تحمل من جمال الروح والتي لا تنهض على اساس من رطوبة الوجدان الانساني ، هذه المدينة انما هي صل في لا يمكن ان يتسم بالانسانية ولا بالوضبة ولا بالتقومية ، وطالب الى القادة الذين زجوا بالعالم في حرب سنة

١٩١٤: ألا يعرفوا بالجمهور، وألا يدفعوا بأشباب أن حماسة إبداي، انطلاقة وانفداع  
 انوسيت الخربة والانانية لهلكة. ودهم الى راسعوا بالنعائم التي خنتهم الحرب اناضية  
 والعبواتوسية وتقومية ان التعاون الانساني تمزيراً لمجى انبشري، فمدجلى مرد ولكل كائن  
 ان يحيا حرّاً، ميسراً في عقائده وتفكيره وعلاقاته في الأسرة والجماعة. لقد دعا تاجور الاميركيين  
 الى هذا، كما دعا العالم الاوربي فلم يجد منه انقلب للنبي الخلقس، وأنذرهم كما انذر اوربا من قبل  
 بأن العالم مقبل على حرب الخفس والنعيبية ونهون وان العالم يسير في مدينة متنافسة القيم  
 والاصابع، فيمما قد أزلت طمرات اعلم الحديث للشفقة والزمن وصحت أُر الحدود الجغرافية  
 وربطت اجزاء الدنيا بأواصر الخطاب الأثيري والظير ان تمهض المدينة على هذه الاوضاع،  
 نواها تتفاعل كالتزال، لو كان كان عبادي التحريب التي تنطوي على إثارة الوصيات والاجناس  
 والالوان، ولهذا دعا تاجور وانغرب الاروبيين والاميركيين وأرسل اليهم النوتة النذر وحذرهم  
 من حرب العناصر والاجناس ويشهرهم بدعوة انشرق الكريمة التي انتمت عقائده وكشبه  
 السماوية في المحبة والاخاء والمساواة وتطلب الوحدة الروحية في لظه وتفكيره وثقافته

وتاجور الذي يدعو الى مدينة روحية جامعة لا يريد بالانسان ان يحدد ضميره بمحدود  
 مظامه ورشايته الفردية، بل يريد ان يطلق الانسان ضميره مع الحياة ليندمج في الضمير العالمي  
 حيث يتصل بمقائيل الانهائية وتعرف مطالب النفس والروح. ويرى تاجور ان الوصية التي  
 فهم هذا إنما تكون من طريق الفن والادب والطبيعة، وهو ينظر اليها كشيء واحد يجب ألا  
 يفترق تفرد بينها

«وأنما الفن شعر كجهد انفسنا لنعبر الى حقيقتنا التي قد لا تدبير، هي حقيقة دائمة وحياة، المتجددة،  
 على الزمان من تقدم الزمان علينا» (١)

فالمفن في نظر تاجور حقيقة متصلة بدارك معنى الحياة الروحية، ولا يكون فناً إلا ما  
 سما بنا على انانية الحياة ومدتها، وارتفع بنا عن الخطيئة والنقص، واندماجها تواضعنا شديد  
 من قيود ومصطلحات، والفن في نظره هو ما يكون مبعثاً للفرح والسرور في النفس، ولن  
 يكون التردد فناً إلا إذا استطاع ان يطهر نفسه من النظام الدنيا، ويشرف بروحه على الحياة  
 في وضعها المثالي الكريمة

وأما الادب فيكاد تاجور لا يفرق بينه وبين الفن في شيء فهو في نظره

«جهد مفيد من انفسنا لنعبر الى حقيقتنا التي قد لا تدبير، هي حقيقة دائمة وحياة، المتجددة،  
 على الزمان من تقدم الزمان علينا» (١)

(١) «تجربتي تاجور» في معنى الفنون والادب مقتبس من الفصل السابع من كتاب سنده.

وهو يرى الانسان المنجرد من الفن والادب وحب الطبيعة ، غير صالح للحياة ، وهو

يقول عن هذا الانسان

« اذا ما خلا الانسان من الفن والادب وحب الطبيعة ، كان مشكلة نفسية ، بمنزلة الاثرة والانانية ، وظاهرة مختصة انتدلا لاجح بها الهوى عن طريق الحق الواضح ، وتتكب الانسان اذن ضربة كبرى ، وهم وخذلج وضياء كاذبة لاخير فيها »

فتاجور عندما يبشر بالفن والادب ، انما يبشر بحقيقة منضلة بالطبيعة والحياة على انها مظهر من مظاهر النمو الانمائي ، يرتفع بالمرء الى المستوى الروحي حيث يستقبل وحيه وهو مطمئن عارف بالحقائق ، وبما يريد التمييز عنه ، فيبضي عليه من شعوره ما يخرجهُ فناً او أدباً ذا شخصية طائفة . والأديب والفنان هما وسيلة للتعبير عن الحياة ، وان عملهما لبيداً عند ما يتبها لها انطروج عن نطاق نفسيهما ، للفناء فيما هو أعم وأشمل وأكثر وضوحاً وأجل طديراً ، هنا يكون الفعل الرائع ، الذي تشده الانانية وتبناه الاثرة والانانية ، وهنا يكون الفن الذي يقبله الانسان المثالي الكريم ، وهنا يكون الشعور بالفسرة وجمال الحياة . والأديب والفنان ، لا يتخلق ، والآ كان صمله آتياً صناعياً ، ولكنهما يعملان بروحي تلقائي ، ولا يبغيان غير النعمة والبهج والمهرة بما استطاعا ان يعبرا عنه عن طريق ايعال الروح بمحائق الحياة الخارجة عنها « من طريق البساطة والعظمة » كما يقول تاجور ولعل هذا الايصال هو جهد مبذول يفسر وجوب ادراك الأديب والفنان للحرية الصحيحة عندما ترفض النفس القيود التي حولها ، وتكون مطلقة ، ملهمة مترددة ، داخية الى الوحدة والمحبة والسلام ، واتارة الجمال والحرية على حياة مطبقة معدودة بأوضاع وقيود فرضها الانسان على الحياة في نطاق رغباته وشخصيته وأنانيته المتردية

هذه هي دعوة تاجور في الادب والفن ، وانك تستطيع ان تجد هذه الآراء صهبة واضحة في كتابه « سعد هانا » فهو يضم محاضرات غالبية في هذه النواحي ، ولقد حدثنا تاجور في فصل رائع منها عن الجمال وتحقيقه<sup>(١)</sup> في حديث ، هو مثال عال لادب النفس ، هذا الادب الذي تدعو اليه مدرسة تاجور ، كقاعدة خيرة فعالة للثقافة الروحية ، صلج فيه الجمال كحقيقة مطلقة كائنة في الوجود ، ليس لها تقدير أو قياس خاص ، وان اختلفت انبيثات والثقافات والبروانات في تقدير مظاهره ، وهو يعبر عن الجمال بأنه اقترح بالوجود ، وان كل ما يدخل على قوسنا السهج أحبيناه وقربناه من ذواتنا ، ولهذا بحث النفس البشرية عن الجمال لتأوي اليه في كنف الحب او الرضى او العبادة او الادب او الفلسفة او في كنف هذه كلها

جسمة . ومظاهر الجمال مختلفة ، ولكنها تدل على حقيقة واحدة وألمة ، تبعث في النفس إحساساً واحداً ، هو الإحساس بالنمطة والسرور — فالإحساس الذي تبعته الموسيقى هو نفس الإحساس الذي تبعته صورة جميلة لها ذات المعنى الموسيقي ، وهو نفس الإحساس الذي يعنه ترتين بيت من الشعر يدل على ذات المعاني الواحدة ، فالجمال وإن اختلفت مظاهره يقودنا إلى إحساس بالنعيفة والأمن والحب والشعور بالحرية المطلقة

وحاجة الإنسان إلى الحياة هي التي توجب عليه أن يسعى حاسة الجمال ، وإن الإنسان الأول كونه إرادته واختياره وذوقه عند ما بدأ يلقي حاسة الجمال ، باختياره الحزن الجليل الذي يشعره بالبهج والحرية الروحية ، وعندما أخذ يبعد عن نفسه كل ما يتنافر معها من قبح ، ولهذا كانت الحياة نفسها تامل للإبقاء على الجمال دائماً ، لأن طبيعة الحياة تقبل أن لن تكون بهجة محبوبة حتى تؤثرها انكاثات عزيزة هائلة

والنبون والطبيعة والنقائذ والمعارف والنبويات السامية هي من مظاهر الجمال ما دامت قادرة على أن تمدنا بالسرور والفرح ، وليس من حق الإنسان أن يحدد مظاهر الجمال

« لأن حياتنا تدفع نفسها إلى كشف المجهول دائماً ، ويكشف المجهول أي فالمرء والاتصال بالاشياء تحقيق لجمال وأدراك للشعور بالفرح والسرور — فالإنسان موجود في المعلوم ، والمجهول هنا ، وليس من حد فاصل بين المعلوم وبين الجمال غير التعقيل والظلمة »

وعندما يدرس تاجور الجمال كحقيقة مطلقة ، يقسم — كشأنه في بحوثه الفلسفية — انكاثات إلى شيء ناقص ومحدود وتام وفوق التام ، فهو يقول : —

« أما إن تكون انكاثات التي لا تنسج فيها البرج والسرور جلا على عقولنا ، فيجب أن نتخلى عنها ربما يكفينا هذا الإحساس من حين ، وأما إن تكون مفيدة وذاتية لذات فهي في هذه الحال تكون ذات صلة صرفة بنا ، ونسجها محبة إلىنا مادامت نتمتع ، فذاً قبيحاً يشبه الباندا ، أو ذاك أصبحت غير ناعمة ، وسادرت جلا قليلاً علينا ، وأما إن تكون هذه انكاثات حواسر ضارفة تصرفنا ، ثم نهنو حولها ، فذلك تعقيل أو سلبها ، وأما إن تكون مدعاة يسخر السرور على نفوسنا »

فالشيء الناقص في نثر تاجور هو الذي لا يمدد الإنسان نفع دائم مستمر والذي يصبح حلاً متبذراً بعد استنفاد منفعته . وتاجور يُدخِل في هذه الأشياء الناذيات التي يحبها الإنسان لنفع موقوت — وأما ما يجلب البهيج إلى النفس ويشغل عنها الأمن والسو فهو انتمة الحق الخالدة التي تبقى معدودة الأثر بسوانها وتامها

وسبيل معرفة إلى هذه انكاثات هو بقظة الحواس وانصميم في الشخص ، ومعنى تملدت الشخصية بدت الدنيا شيئاً لا قيمة له في هذا يقول تاجور

« دعني في أكبر الأمور في هذه الدنيا التي يبدو لك كالمشروع ، ولكنها لانتهى بين هذا كالمشروع ، والا شعرت بمسألة قنوت ، نحن الذين أعطيت لهم الدنيا يحدوا بها ، فحواستهم وقواتهم سبيل إلى الإذن بالشيء متى تدركت أهدأنا مالك من حق في ميراث البشرية »

ولكن ماهي وظيفة الخواص؟ لقد أجاب تاجور عن ذلك ، وحسبتم من كبحار خاصة مدركة له ، تفرق بين ماهو ناقص وما هو تام . فبتساءل

« ماهي وظيفة خاصة الجنائي في حدود جدرانها من المحيطين من أمور؟ هل خاصة الجنان أدنى في تعديل خلق وتحليله إلى ضوء قوية ، والتي ظلال لحظة ، ومن أمراض هذه الخاصة هذا الحق أمامه في مظهر مضطرب بين الجمال والتبجح ؟ »

يتساءل تاجور بهذا ثم يجيب :

« لو كان الامر كذلك ، لكان علينا ان نعلم بان خاصة الجنان انما تنحصر في طائفة ضيقة ، وتعتبر سداً من الدخيلات رسيلا العدة التي تربط كل فرد وكل كائن من هذا العالم بمجموعه ووحده ، فكيف ان يكون هذا قائماً الا متى كان ادراكنا مبسراً لا يميز الفاصل بين العلوم والجهل ، وبين الجليل والحقير إلى الجنان ؟ »

وعناصر الادب عند تاجور هي عناصر انسانية وان اثرت البيئة فيها — فتاجور صورة واضحة من المدينة الشرقية والعقائد الهندية ولكنه ما كان هندياً أو قوميّاً في نظره إلى الحياة والأدب وأنثون وثقافة واندنية . بل هو انسان مطلق في تفكيره ، يبحث عن الروح وعن المثل العليا وعن الوحدة الروحية الجامعة ، ملتصقاً بالخير والجمال باحثاً عن الله في كل شيء ، هو صورة من المكبرياء المتواضع ، راية طاهرة سامية كبرياء الاطفال والانبيا ، وتتمس قوية عاتق بحقائق الحياة ، بصيرة بزغبات النفس ووجعها ، حاملة على ترويضها في رفق حيناً وفي قسوة أحياناً . ومباحثه في الحياة والأدب والتمنون تدعوه ان يتخذ لأدائها أسلوباً خاصاً ليس للشعبوية ولا للقومية الاثر الغالب فيه — فهو يستنطق ما وراء الحس من الوعي الداخلي ويبرز انفسه من صور النفس في انوار بروحي المعنى تلقائياً ويلهمك بالمعاني والألوان والصور والرموز التي يريدنا في اسلوبه تاركاً في تفكك صائلاً صامتاً بمنزلة بالحياة والمعاني — هو يعالج مساحته من طريق القلب والذهن — لأنه يحس العالم منظوفاً في نفسه فهو يعتمد في ادائه واسلوبه على الصور التي في وعيه على تحييل حسب وشعور دقيق في ومزج منترج من التفكير والتخيال — فأسلوب تاجور أسلوب رمزي عالمي في أدائه وتصويره ومعانيه — وهو كما يستطيع ان يحدد الصور ويقربها من الادراك على انها حقائق متصل بعضها ببعض ، يستطيع أيضاً ان يقضي على أجزاء كل صورة لوناً وضوءاً جليلاً من شعوره الانساني فيجمع الأجزاء في أطرافها خالقاً منها صورة واحدة لصكرته في خطوط رمزية تبعث من تلقائها في الوعي صور المعاني التي يريدنا قوية واضحة — هذا هو أسلوب تاجور في الشعر والتصوف والأدب والنس وفي أدائه الافكار الاجتماعية التي يجب ان يتحدث عنها دائماً ، بل هذا هو اسلوبه في التمتع والحديث والسرح والحياة

ويعتقد تاجور ان مجال التفكير محدود بأوضاع العلوم ، بل يرى ان العلوم هي قيود للتفكير تحدده وتحدد في لطاق ضيق

ان الانسان لم يقم على الرغم مما تركه بعض الفلاسفة من تعليم ، أن يجعل له حده محدوداً ، بتقييد منطقة علومه ومعارفه ، فهو يسطر كل يوم تفوق تفكيره على مناطق جديدة ، ويحترق بحامل كات بالاسم فقرأ غير مرتاد ، ويجهول غير مكتشف . . . وحاسة الجان طرفة ، دائمة وراء الكنف والفتح وارويد الجيوب . ومعلوماته تتجدد وتنمو ، كما انهم نطاق الطبع وراء الحقيقة ، والحقيقة في كل مكان ، ولهذا كان كل امر في الحياة موضع تفكير وأنس ومعرفة . وكذلك كان المجال كاملاً في كل زمان ومكان يلزم الحقيقة ولا يذوقها — واذن فكل شيء ما دام متعلق بالحقيقة هو قادر على أن يكون متعة تدنا بالسر ، والفرح «

والحد الفاصل بين الحق والباطل ، في نظر تاجور ، هو العلم والمعرفة والتمييز ، وكما استطعنا أن نفرق بين الخير والشر ، ونضع التواصل بينهما ، أدركنا أسراراً من الحياة ، وكشفنا جمالها وتدوقنا معانيها السامية :

« ان مراحل الامور في بداية ادراكنا لاسرار الحياة تلتصق على التميز بين الحق والباطل »

ويعبر تاجور عن الشكوك التي تحوم حول الحقيقة في بداية التفكير بقوله :

« ويصبح إدراكنا اليأسى يبرج الحياة ولا يصرها من حائلون سبية ، تأخذنا زهوها ، على ان هذا ليس إلا ادراكاً مقسراً ، اذ كل نتيج هذا الجهل ، كنا أبعد عن التائر بالنظر الذي نشبه الحياة على مداركنا ، ونحول ما في الكائنات من شذوذ متافر مع احسبنا ال قدم متواتر زعيم منظوم »

ويرى تاجور ضرورة مراعاة النفس وترويضها على فهم الامور وتقد الظير من بين الباطل

« وتعاير النفس كثيراً حتى تنعم الحق في وضعه ، ولهذا كان عليه اولاً ان تارس نقد الجدل بما مجموعه من شمت ، ثم عزله بعيداً ، تنعم ما به من خصائص وصانع ، ثم قسطيع بعد هذه المدة ان يدرك الجدل وتذوقه . بل . . . يفت في سبولة طلبة يبتور على السبيل اليه ، فالتزم الصحيح المنظوم ، بدل الاذن الفوسفية الفروضة سهلاً مقبلاً بعيداً عما يختص فيه من شذوذ آخر . فالجل الذي يشير عواطفنا بعد ان جاحة الى مضير مشوق ، ثم كانت لتثير الواسيني . بما يدخل عليها من جلبة وصياح وجوت مرفوع ، فالوسين تأتي اشعة وحنن . وأبوى الى قوت حفاية لا ريب فيها ، وهي : ان السكون والجلد والعدة والبراعة هي حية عدم الخلد التي سترث السكون المدجين »

ويفسر تاجور وجود الطرافات التي دخلت على العقائد تفسيراً قريباً :

« لقد حول الانسان . في ارض مراحل تطوره ، ان يأسس مناهج دينية ، ترسل الجبال المقلدات وتحيد حية ابيادنا ، وحاول ان يجد انجاه في اوضاع ضيقة ، يسبح على نفسه من دعوى هذه كبرية وعظمة وجهه . وحدث ان سلت هذه العميقة في ارض ومدور ، أثقت كاهل الناس ، بشكائيف ومبائعات كثيرة ، باعث هذه العقنوس في شريعة البراهمة تنبع سقوط امدية الخندية ، يوم هوى ادراك الناس وبعد عن اللتون ان خلدني اعلى ، ويوم صمدت الطرافة معالم الحق والجهل . »

فتاجور يرى ان الطرافة والظنوم قد لا يست الايدان باسم الجمال والنس ويرى في هذا مذلة ورقاً فرضاً على حياة التتور ولكنها ما لبثت أن تحورت منها

« وجاء على فلسفة الفنون الجميلة عمر تحورت فيه من الرق شذما سبل على الناس فهم الجدل وادراكه .

كما يقع في حياته يتسونه ، كانت توجيه مطالب الحياة وأعراضها من تآلف حق ، ويرى أن الأساس إذا ما قيد الفنون بالفن والاصطلاح أصبح في حيرة ، لأنه لا يكون فناً ولكنه يكون حقةً ، ويشهد الفنان قلبه العسة ، وهو هذا « لا يدخل السرور على النفس »

ومن هذا لا يكون فناً ولا جمالاً ، وعندما تكون للإنسان القدرة على تمييز الفنون ، وعلى فصلها عن نزعات النفس ودرغياتها ، وعن مطالب الطوائس البشرية ، عندئذ فقط ، يكون الإنسان الكامل ، كما يقول تاجور ، صاحب التقدير انصريح ، والنظر الناقد لادراك الجمال الذي يسم الكائنات ، وعندئذ يتسع الادراك فيرى الانسان ان الاشياء التي قد لا تبدي الفرح والبهج لنفسنا ليس حتماً ان تكون فاقدة الجمال او مفترقة اليه في مظهرها اذ قد تستمد جمالها الباطني من الحقيقة مباشرة

وتقوم فلسفة تاجور دائماً على وجود السلب كما تعترف بوجود الايجاب ، فاذا وجد الخير كان لا بد من الاعتراف بقوة الشر ، واذا وجد الجمال كان لا بد من ان نعترف بالقيح ، ولذا وجدت القضية كان لا بداً لتمييزها من الاعتراف بقوة الرذيلة

« عندما نقول ان الجمال يتم ازجاء الحياة ، فاقدنا بهذا ان محو كلمة التبع وابتناعين لنتنا ، فنسخط الامور ان تجعل الكذب والرياء ، فالكذب قائم بحق الوجود ، ولكنه ليس قائماً في منهج الحياة البشرية ذاتها ، بل هو كمن في تقديرنا ، وفي قمرى ادراكنا ، وهما كمنصر سلبى ، فهو ليس من طبيعة الاشياء ، ولكنه موجود في فهمنا ، وبدلاً على عكسه ، وكذلك الحال مع التبع فهو قائم في تقاضيل الجمال المحرف عن مواضعه ، وهو موجود في فهمنا وفي فنوننا التي تصدر عن فصر ادراكنا للحقيقة الشاملة »

ويفرق تاجور بين الولاية المادية على القوى الطبيعية وبين الولاية الروحية عليها ، ويرى ان الادراك وصدق الفهم هو سبيل الى الولاية الثانية

« نحن بسط ولايقنا عن القوى الطبيعية فنصبح اقرباء هذه الولاية الطبيعية ، وأما عندما نستبعد قوانين حياتنا من طبيعتنا الاولية فنحن بسط ولايقنا على النفس ونصبح اقرباء الولاية — وعلى قدر من تدرك من قوانين طبيعية تتسق مع طبيعة الحياة ، تتقال الادة والمعرفة بأسرارها ، وتصبح السريرة طابعاً صريحاً لفنوننا »

ولكن تاجور يرى انه لكي يبسط الانسان ولايته الروحية على الطبيعة يجب ان تدقب في ضميره نظم الحياة ، وان يطمئن الى ما في الخليقة من ايلاف منظوم ، وان يصبح ادراكه لحب الخير جامعاً وعائياً ، وان تقدم الحياة بطابع الجمال والخير والحب العام ، ويرى فوق هذا ان الانسان لكي يصل الى هذا النفوذ الروحي ، يجب ان ينال قلبه حربة تامة

« يجب ان تحرر ضميرنا وان نتخلى هذا العنق الذي يشتره الكرامة والتخلفية ، ويبحث بين التواء ان نل ندمنا لاسرار الكائنات فنندرك ، وتتدفق بناهيج الخلق ، وان نروض انفسنا عليه »

فتعاليم تاجور تنهض على مقومات المدنية القائمة ، المستمدة من العناصر الروحية

والثقافية ، المزوجة منذ الأزل في خلق الشرق وفي تعاليمه وعقائده وفي كتبه وحكمته وفنونه . وهو يرى أن الفنون الجميلة هي وسيلة من وسائل التهذيب الروحي ، وقيمة من قيم المدنية الفاضلة التي ينشدها ، ويرى في الموسيقى الصورة المثالية أنميا للحضارة البشرية التي يتبناها ، هي مثال الكمال ، هي أقصى وضع للفن ، وأوضح بيان للجمال في روحه وشكله ، هي فن خالص ، ويقول تاجور عنها في بحث عن فلسفة الفنون :

« أتأثر ، عندما تفسر معنى الموسيقى ، بأن مظهراً من مظاهر اللانهاية قد حده في وضع من اوضاع النيسر . فالنوسيقى ليست إلا وضعاً محدوداً من اللانهاية ، فهي الصمت البليغ ، التي تنبه الأظيمة فنون ، بمناظرها . . . . . لكي ما يظهر في صنعة الطبيعة من جمال وسلام ونورة وعفص ، تستطيع الموسيقى أن ترقى وتمسره في أرقم مسجة الأصوات ، وتستطيع - من تودبه أداء كادلاً متصلاً بالحقيقة ، يبدأ عن لفظ الشعراء ، وتصيغ الصورين . . . »

### ولقد وصف تاجور الموسيقى فقال

« وأما الموسيقى فأثره ليس كأثر الشاعر أو المصور ، هذا ياجأ إلى اللون ، وذلك ياجأ إلى اللفظ ، يظف به اللغوي الخائرة في نفسه ، بينما الموسيقى مجتمع لجميع أسباب فنه ، فيصدر التلحين عن نفسه فتراقه ، وليس اللحن بالذي يفريده عنه ، فدفع أن نفسه ليستبيته شعراً ، ولكن اللحن يفتن معاً ، مما تؤثمان لا يتفتران ، فالفك الموسيقي لا يمانى ما يمانيه قلب الشاعر أو المصور عند أداء ما يحول فيه ، لأنه يؤدي الحاشه سنناً دون أن يكلف نفسه مادة تتقطأ أو تقون . . . »

### ويقول تاجور :

« إن الموسيقى تشع جمال الفنون جميعاً ، لأن مادة التعبير ليست إلا حلا فتلا يتوه من جمال الفكرة وسودها ، فاللفظ في ذاته حل مرهق ، لأن معانيها تجهد أفكر ليفهمها ، ولكن الموسيقى وهي التي وضع للفن ، تملو عن ذلك ، فلا ترهق التفكير ، ولا تجهد النظر ، ولكنها الخاطى اللطيف والفن الثقافي الخالص »

ويرى تاجور أن للموسيقى كأي فن آخر لا تزال تعبر إلى الكمال ، فهو يقول :

« إن في كل عهد مردي في لتسويق كماله ملحوظاً ، وهو إلام لا يحجاز ما كان متقوماً ، وليس من حين قد تم كونه ، ولكن الأمان جهد تنكس إلى غرسه في وحدته صامح اللانهاية ، فجميعها وحدة تقيم الكمال المطلق إن فكأن ، هر فاية ما تصبو إليه حضارة الروح والقلب . »

هذه هي تعاليم تاجور تدعو إلى الوحدة العالمية وإلى اشاعة حضارة ومدنية فاضلة ، تشد الأمن في جميع مقوماتها ، في ثقافتها وأدبها وتعاليمها وفنونها ، تلك هي المدنية التي لا تقوت ولا تقنى ، والتي يراها تاجور حية باقية في قلب الانسان .

« لقد وجدت إلى برائي لانام والتمنيت النين ، ولكن الفكر يسارومي ألا تشع اء فأمسحت غير توافق إن نوم . . . . . سلفي الحبة دالية في حركتها ، متخذة من جسدي الخاضع ميداناً جوالاً ، ولا يزال أذني يديس ، ولا يزال أذني يديس في تمروق ، ولا تزال ملايين القلوب تهتز في خلايا جسدي وترقص على تموج هذا الزور الحساس الذي يرتجف من نس الأله (١) . »

أما الشرق مصدر الحضارة ، وسنده تعاليم المدنية من الايبان .